الأغنام المباركة

كان هناك شابٌّ في السابعة أو الثامنة عشرَ من عمره من طلبةِ بديعِ الزمان. . يوماً وهو في طريقه إلى السيد خلوصي كان يكلِّم نفسه، ويقوم بحركاتٍ بيديه تدلُّ على غضبِهِ الشديدِ ونفاذِ صبرِهِ.

وبعد انتهاءِ الدرس، توجَّهَ مخاطباً السيد خلوصي:

ـ أراك لازلْتَ متفائلاً جداً وترى الدنيا ورديَّة، هل لازال لديكَ أملٌ في التغيير؟!

هزَّ رأسهُ يمنةً ويسرةً ثم ذَرَعَ المكان جيئةً وذهاباً عدة مرات، ثم التفتَ إلى السيد خلوصي قائلاً بصوت مرتفع:

ـ هل باعتقادك أنَّ حضورَ خمسةِ أو ستةِ أشخاصٍ إلى هنا، وقراءتهم لهذه المقالات سيجعل الأمور تتحسن، وأنَّ كلَّ شيءٍ سيكون كما تريد؟! انظرْ إنَّهم مثل قطيع الغنم!

بكلِّ هدوءٍ وصبر. . وبوجهٍ مبتسمٍ ردَّ عليه السيد خلوصي:

ـ برأيك ما العمل؟

ـ رأيي أنْ نحملَ السلاح ونقتلَ كلَّ هؤلاء المارقين العاصين.

ـ حسناً؛ برأيك كم شخصاً تستطيع أنْ تقتل منهم؟

ـ كم شخص؟ ألف شخص!

نظر السيد خلوصي إلى الشاب نظراتٍ تدلُّ على عدم تصديقِهِ، فقال الشاب في نفسه: «لعلَّني بالغتُ قليلاً في العدد».

ـ خمسمئة.. سأقتل على الأقل خمسمئة منهم.

النظراتُ نفسُها من السيد خلوصي.

ـ مئة.

النظراتُ ذاتُها.

ـ خمسون.

ـ عشرة.

لم تتغير نظرات السيد خلوصي، عندها قال الشاب غاضباً:

ـ هل تظنُّ أنَّني لا أستطيعُ أنْ أقتلَ منهم عشرةَ

أشخاص؟ لو أنَّ كلَّ واحدٍ منَّا قتل اثنين منهم لاستأصلْناهم من جذورهم، ولَأَرحْنَا الكونَ من فِسقِهِمْ وفجورِهِمْ.

قال السيد خلوصي بلهجة واثقة:

ـ لن تستطيع أنْ تقتلَ أحداً، ولا حتى شخصاً واحداً، ولو صوَّبْتَ سلاحَكَ نحوَه لربما استطعْتَ أنْ تصيبَه فقط، وعندها برأيك ماذا سيحدث؟ ستدخل أنتَ السجن، أنت ومن هم يفكِّرون بطريقتك.

تابع السيد خلوصي مبتسماً:

ـ يا بني؛ ليست العبرة بقوة الفعلِ وسرعتِهِ، ولكنَّ العبرةَ بالنتيجة التي سيؤدِّي إليها هذا الفعل.

من الأفضل لك وللآخرين أنْ تحملَ بيدك اليمنى نورَ المعرفةِ والفكر، وبيدك اليسرى مشعلَ الإيمان والتقوى، خيراً من أنْ تحمل سلاحاً تهدم به مستقبلكَ ومستقبلَ الآخرين.

كان من الواضح أنَّ السيد خلوصي لم يستطعْ بكلماته هذه أنْ يخفِّفَ من غضبِ وثورةِ الشابِّ، أو يغيِّرَ من طريقة تفكيرِهِ، بل كان الشابُّ يتمتم بصوتٍ خافتٍ:

ـ يقول: «لا أستطيعُ أنْ أقتل أحداً من هؤلاء»، المشكلة أنَّني لا أريد أنْ أمدحَ نفسي أمامه لئلا يظنَّ أنَّني مغرورٌ أو ما شابه ذلك.. في الحقيقة أنا لست بحاجة إلى السلاح، بلكمةٍ واحدةٍ منِّي أستطيعُ أنْ ألقيَهُ أرضاً.

ولم تمضِ فترةٌ طويلةٌ من الزمن.. وفي أثناءِ تنظيمِ مسابقةٍ للجمال، صوَّبَ هذا الشاب سلاحَهُ نحو أحدِ الصحفيين، وأطلق عليه أربعَ رصاصاتٍ أصابتْهُ إصابةً بليغةً ولكنَّه لم يقتلْه، وكانت النتيجة كما هو المتوقع، دخل السجن هو ومجموعة من رفاقه.

أفضلُ طريقٍ للتغييرِ والإصلاحِ هو طريقُ السلم والتفاهم، وهذا الشاب لم يكن مقتنعاً بهذا، **ولكنْ يجب على مَنْ أرادَ الإصلاحَ أنْ يصلحَ نفسَهُ أولاً**، ويعلمَ ما الذي يستطيعُ أنْ يقدِّمَهُ للإنسانية من خير، وما هي الوسائل لتحقيق ذلك، هذا الشاب لم يكنْ يعلم ولكنَّ الحياةَ كانت كفيلةً بأنْ تعلِّمَهُ.